الفردية ، ومنها من لم يعد يقتنع من الأدب بإشباع حاجات روحية بل يطالبه بأن يهدى الروح ذاتها عن طريق الإيحاء ، ويخرجها من الذاتية إلى الغيرية ومن الأثرة إلى الإيثار ، ومن الشكوى والتشاؤم إلى الأمل والتفاؤل ومن الخوف واليأس إلى الثقة والاستبشار - ولكننا مع ذلك لا يمكن أن نتنكر لحقيقة هذه الحاجات التى يدعونا صاحب الغربال بحق إلى أن نتخذ منها مقاييس للأدب ، وقد تدخلها النسبية ولكنها مع ذلك لا يمكن أن تنفصل عن الحياة التى لا نعرف لها فى النهاية من بؤر غير الذوات الفردية ، التى أصبحت النوازع المنبعثة من طبيعتها تختلط وتنصهر مع النوازع التى تنعكس فيها من المجتمع .

ولا أدل على عمق ما فى هذه المقاييس من نسبية من أن نلاحظ أن الداعى إليها من أنصار المنهج التأثرى الذاتى النقد لا المنهج الموضوعى شبه العلمى وبالفعل نرى ميخائيل نعيمة يهاجم عروض الخليل بن أحمد فى مقاله عن «الزحافات والعلل» ؛ هجومًا عنيفًا ويتهمه بأنه قد حول الشعر العربى إلى نظم لا ينبض بفكر أو حياة ، مع أنه من المؤكد أن العروض ليس هو المسئول عن ذلك . فالعروض ما هو إلا مجموعة من القواعد التى تحدد وتصحح القوالب الموسيقية للشعر ، ونحن فى حاجة إلى الموسيقى كما يقول ميخائيل نعيمة نفسه ، وقد لا ترضينا هذه القوالب أو تلك ، ولكننا لا نستطيع أن نغفل العنصر الموسيقى فى الشعر ، لا لأنه يطربنا فحسب ، بل لأنه وسيلة من وسائل الأداء لا تقل أهمية عن الألفاظ والتراكيب ، بل لأنه وسيلة من وسائل الأداء لا تقل أهمية عن الألفاظ والتراكيب ، بل قل تفوقها ، لأن النغم كما يقول ابن عبد ربه «فضل فى المنطق لم يقدر اللسان على